الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم الدكتور طه حسين بك

أقام المعلمون على اختلاف هيئاتهم يوم الثلاثاء الماضي احتفالا كبيراً في ناديهم بالجزيرة لتكريم معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف.

أخذت طريقي إلى المكان الاحتفال، فما بلغت كبرى قصر النيل وهبت على نسمات النيل الرقيقات حتى أغرتني هذه النسمات بالتمهل، ورعى الله ليالي كنا «نتسكع» فيها على كبرى قصر النيل، إذ لا نجد أرحب من أحضانه ولا ألين من أعطافه، وكم بثثنا النيل من بين قضبانه شكوانا، وكم أود عنا الموج آمالا كان حريصاً عليها، فلما بلغنا ما بلغناه منها لم نجده شيئاً.

ويظهر أن مشية الهوينى على ذلك الكبرى تستدعي الخواطر وتبعث حديث النفس، هذه جموع المعلمين وغيرهم من المدعوين تتدفق إلى الجزيرة الفيحاء لتكريم طه حسين: قلت لنفسي: ترى لمن التكريم، ألطه حسين ذاته، أم لوزير المعارف؟ قالت نفسي: لكليهما، ألا ترى أن الرجل لم يكرمه أحد قبل أن تقبل عليه الوزارة، وأن هؤلاء المعلمين لم يكرموا وزيراً من قبله، وقد تعددت فيما مضى المناسبات التي كان طه حسين يستحق فيها التكريم قبل ذلك، وتعاقب وزراء لم يصنعوا ما صنع فلم ينهض أحد لتكريم أحدهم، قالت إذن فيها تفاعل، رجل يستحق التكريم والظروف مهيأة. وأقبلت على نسمة يظهر أن مثيلاتها كانت تداعب أفكار الفلاسفة، إذ قفز إلى ذهني خاطر لا بأس به. طه حسين يكرم نفسه طول عمره بأدبه وعمله وقد بلغ بذلك ما بلغ، مما يقصر دونه كل تكريم، وهؤلاء المعلمون الذين يكافح هو من أجلهم، وقد أصابوا من كفاحه شيئاً وبقيت آمال في أشياء — يشعرون بواجب العرفان ودافع الوفاء لمن قام من بينهم وانفلت إلى الصفوف الأولى وهو لا يزال يعيش معهم بوجدانه ومشاعره، فهم يكرمون فيه فكرة تتمثل في العلم الكافح الساهر على مصالحهم وآمالهم في طريق المصلحة العامة والخير العام، وهو نفسه يشارك في هذا التكريم!

وأضم إلى ذلك ما قاله الأستاذ محمد رفعت بك في كلمته بالحفل إذ تساءل: لماذا لم يكرم رجال التعليم طه حسين قبل توليه الوزارة وأجاب بأن هناك نظرية في الاقتصاد السياسي تقول: قد تظهر في السوق عملة زائفة يروج لها أصحابها فتتغلب حينا على العملة الجيدة التي تكاد تختفي، حتى يجيء الحاكم الحازم فيعيد إليها اعتبارها ويقضي على المزيف. وهذا المثل الذي ضربه رفعت بك يرمز إلى الأطوار الأخيرة التي مرت بها وزارة المعارف، إذ كان بها ناس وجاء غيرهم، ثم رجع الأولون ...

ومهما يكن من شيء — كما يعبر عميد الأدباء — فهذه حفلة التكريم، وهؤلاء المعلمون على اختلاف معاهدهم وألوان ثقافتهم يجلسون إلى موائد الشاي على أرض النادي المكسوة بالحشائش في تلك الأمسية الجميلة، والوسيق تصدح ... ويقف الأستاذ سعد اللبان رئيس النادي فيلقي كلمة ضافية يلم فيها بالنواحي المختلفة لشخصية طه حسين وأدبه وآرائه في إصلاح التعليم ونشره وأعقبه الأستاذ محمود حسن اسماعيل فألقى قصيدة تحدث فيها عن آمال الشعب في التعليم وما كان من المساومة في بيع العلم وشرائه — حديثا شعريا ممتعاً، وقد حفلت قصيدته بالصور الشعرية الجميلة الطريفة حتى خيل للسامعين أنه يحلق بهم في سماء النادي، والحق أني لم أسمع ولم أقرأ لمحمود شعراً رائعاً كهذه القصيدة، فقد كان في نظري هذه الليلة شاعراً جديداً.

وألقى الأستاذ محمود غنيم قصيدة طلية الديباجة، بدأها بقوله:

أعد يا شعر أحمد من جديد ... يصوغ ثناءه في ابن العميد
وأقسم ما رفعت بذاك طه ... فأين ابن العميد من العميد؟

وأنا أسأل الأستاذ غنيم: إذا لم تكن رفعت بذاك طه فماذا قلت إذن؟ ولماذا استسلمت للحلية اللفظية التي قضت بأن يكون

ابن العميد مثلا ؟ إنني أعتقد أن ابن العميد ليس شيئاً إلى جانب أي كاتب من كتاب الدرجة الثانية في هذا العصر . وقد قال الأستاذ في أبيات أخرى إن طه حسين يعيد عصر الرشيد فهل قصارانا الآن أن نعيد عصر الرشيد ؟ !

ثم تحدث الأستاذ محمد رفعت بك المستشار الفني لوزارة المعارف، ويظهر أنه قدر أن المقام مقام بلاغة وبيان ، فاصطنع السجع في كلمته ليجاري بها في الحلبة ، ولكن الأستاذ رجل مفكر وأسلوبه سهل ولا بأس به ؛ فما كان أغناه عن ذلك السجع !

وبعد ذلك وقف معالي الدكتور طه حسين بك فارتجل كلمته التي بدأها بقوله : أيها الزملاء ، وأريد بالزملاء الوزراء والمعلمين ، فأنا منكم منذ عهد بعيد ؛ وأنا وزير في هذه الأيام فكلكم جميعاً زملاء . ثم تحدث عن فضل رفعة رئيس الوزراء والوزراء في تقرير مجانية التعليم قائلا إن الفضل الأول لتوجيهات جلالة الملك؛ وقال إنه يذيع سراً من أسرار الوزارة ، هو أن الميزانية كما تعلمون ضيقة ومطالب الإصلاح كثيرة . ووزير المالية من شأنه أن يظهر الفقر والبؤس لزملائه كلما طلبوا اليه شيئاً . وقد أدى واجبه هذا نحو وزارة المعارف وخيل لوزير المعارف أن الحكومة مفلسة غداً أو بعد غد . وكان وزير المعارف قد وعد المعلمين بأن يسعى في إجابة مطالبهم ، فوقف من فقر الوزير موقف الشاك أولا والمتحدى ثانياً وقال له : إن كانت الدولة فقيرة فالمعلمون أشدهم فقراً . واشتد الخلاف بين الوزيرين . فقلت له إن لم يبدأ الوزير بإنصاف المعلمين فسأستقيل ؛ وأخيراً حل المشكلة رجلان أحدهما بكرمه وصفاء قلبه وحبه للخير ، والآخر بلباقته وحرصه على التوفيق ، أما الأول فهو رفعة مصطفى النحاس باشا ؛ وأما الثاني فهو معالي فؤاد سراج الدين باشا

ومما قاله معاليه أيضاً: يريدني الأستاذ سعد اللبان على أن أفسر ما وصلت اليه من الانتصار على المصاعب، وأعترف مخلصاً وأقسم بين يدي الله أنني ما اعتقدت يوما أنني انتصرت على شيء ، وإذا كنتم تظنون ذلك فرد هذا إلى أمرين اثنين ؛ أولهما أنني لا أومن بأن لي حظا من عظمة أو مجد ؛ والثاني أن لي أصدقاء يدفعونني الى حيث تروني الآن .

تشكو الأيام

□ استطاع بعض السينمائيين أن يظفر بموافقة معالي الدكتور طه حسين بك على إعداد قصة « الوعد الحق » للسينما ، ويجري العمل الآن في تقطيع المناظر والإخراج ، ويقوم باخراج الفلم الأستاذ ابراهيم عز الدين ، ويجري الحوار فيه باللغة العربية الفصيحة

□ كتب أحدهم في (زكية اليد) بالأهرام يقول إن أرملة المغفور له الشيخ حمزة فتح الله لا تزال على قيد الحياة، وهي في حالة بائسة ، إذ لم يقرر لها معاش ... وهنا أمر يؤسف له أشد الأسف ، بل هو يدعو إلى الحزن ! إن الجواري والخدم ترتب لهم الأرزاق بعد موت ساداتهم ، فما بالك بزوجة رجل كبير كالشيخ حمزة فتح الله خدم البلاد في ميدان اللغة والتعليم خدمات لها مكانها في التاريخ الحديث ؟

□ من أنباء روتر أنه لأول مرة في التاريخ دوى في كاتدرائية القديس بطرس بروما ترتيل باللغة العربية في أثناء قداس أقامه البابا لعشرين ألف حاج بينهم بعض المصريين .

□ أشرنا من قبل إلى القبض على الشاعر الزجال اللبناني عمر الزعيني ، لاتهامه باهانة رئيس الجمهورية اللبنانية . ونذكر الآن أن محكمة بيروت حكمت عليه بالسجن ستة أشهر . وكان الأستاذ الزعيني قد ألف أسطوانة وغناها في محل ، أشار فيها إلى تجارة الحشيش الرائجة في لبنان واختلاس موظفي الحكومة للاموال .

□ وحكمت محكمة بيروت أيضا على الأستاذ سعيد فريحة صاحب مجلة الصياد غيابيا بالسجن ثلاثة أشهر وبتعطيل المجلة ستة شهور ، وذلك لمقال اعتبرته النيابة ماسا برئيس الجمهورية

□ أذاعت إحدى شركات الأنباء أن آلاف الزوار يفدون الآن بالطائرات والسكك الحديدية والسيارات إلى مدينة (ستراتفورد أون آفون) موطن شكسبير، لزيارة منزله ، والتوقيع في سجل الزوار وستعرض خمس مسرحيات من مؤلفات شكسبير .

□ توافق ذكرى شاعر النيل حافظ ابراهيم يوم ٢٢ يولية . ولا ينتظر — كالمعتاد — أن يحتفل أحد بهذه الذكرى !